مُسَامَرَةٌ

شَذَرَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ وَالأَدَبِ وَالحِكَمِ

تأليف

محمد فريد بن لحسن بن بيه المجادي

إِهْدَاءٌ

أُهْدِي هَذَا الصَّنِيع لِأَرْبَابِه مِنْ مَعَالِي الوَالِدَة الكَرِيمة

وَسَعَادَة الوَالِدِ المفَدَّى وَمهْجَة أَخِيهَا وروح فؤاده.

دِيبَاجَةٌ وَاجِبَةٌ

صَنَائِعُ الكَلَامِ وَفُنُونُ المُخَاطَبَةِ تَتَنَاقَلُ بَيْنَ مَحَافِلِ الأَدَبِ، تُزَيَّنُ بِالبَلَاغَةِ وَتَتَلَوَّنُ بِالمَجَازِ، لَكِنَّهَا كَثِيرًا مَا تَظَلُّ حَبِيسَةَ أُطُرِ السَّمْعِ، لَا تَخْتَرِقُ أَعْمَاقَ الوِجْدَانِ لِتَصْنَعَ أَثَرًا مُسْتَدَامًا، وَلَا تُرَسِّخُ فِي الذَّاكِرَةِ سِوَى صُورَةً وَاضِحَةً تُرْوَى لِلأَجْيَالِ المَنْشُودَةِ ,فَتَبْدُو كَأَطْيَافٍ عَابِرَةٍ تَحْمِلُ جَمَالَهَا لِلَحْظَةٍ، ثُمَّ تَتَلَاشَى فِي صَمْتٍ.

أَيُّهَا القَارِئُ العَزِيزُ، تَعَالَ لِأَكْشِفَ لَكَ عَمَّا الْتَقَطْتُهُ مِنْ خَبَايَا هَذَا الحَقْلِ الأَدَبِيِّ الكَثِيفِ، حَيْثُ تَتَدَاخَلُ فِيهِ المَشَاعِرُ وَتَتَنَازَعُ الأَحَاسِيسُ عِنْدَ أَطْرَافِهِ, هُنَا تَنْبَعِثُ مَشَاعِرُ الغَلَبَةِ وَالغُبْنِ، وَتَتَرَاقَصُ الأَوْهَامُ عَلَى أَطْيَافِ الصُّمُودِ، لَكِنْ سُرْعَانَ مَا تَتَبَدَّدُ كَسَرَابٍ يَخْدَعُ الظَّمْآنَ، لِيُسَاقَ إِلَى كُثْبَانٍ مِنَ الأَسَى لَا قَرَارَ لَهَا.

مَا بَيْنَ يَدَيْكَ الآنَ هُوَ كُشْكُولٌ ظَرِيفٌ، يَحْمِلُ بَيْنَ طَيَّاتِهِ جُنُوحَ تَجَارِبِي وَصولَةَ أَفكَارِي ,جَمَعْتُ فِيهِ مَوَاقِفَ مُتَرَاكِمَةً، وَمَعَارِفَ مُزْدَحِمَةً، وَأَطْلَقْتُ فِيهِ العِنَانَ لِمَعَانِي الحِكْمَةِ المَنْثُورَةِ , قَدَّمْتُ بَعْضَ قَصَائِدِي وَأَشْعَارِي الَّتِي تَحْمِلُ عَبَقَ الِاندِهَاشِ، وَسَرَدْتُ فِيهِ تَجَارِبَ مَحْفُورَةً فِي الذَّاكِرَةِ, فَجَاءَ هَذَا الكِتَابُ مَزِيجًا مُتَنَاغِمًا مِنَ الفِكْرِ وَالشُّعُورِ، وَمِنْ جَمَالِ النَّثْرِ وَأَنَاقَةِ الشِّعْرِ.

بداية الشغف

{سِيرَةٌ غَيْرُ ذَاتِيَّةٍ}

سُرْعَانَ مَا كَبُرَ عَلَى عَجَلٍ، دُونَ أَنْ يَنْتَبِهَ لِلزَّمَنِ أَوْ يَحْسِبَ دَقَائِقَهُ. الأَيَّامُ تَسَارَعَتْ، لَكِنَّهُ لَمْ يُبَالِ بِتَوالِيهَا. لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ إِلَّا مَا يُعِينُهُ عَلَى اسْتِقْبَالِ مُفَاجَآتِهَا؛ تِلْكَ الَّتِي تَأْتِي أَحْيَانًا ثَكْلَى، وَأَحْيَانًا حُبْلَى بِمَوَاقِفَ لَا تَنْكَشِفُ إِلَّا بِمَخَاضٍ عَسِيرٍ، يَكَادُ يَخْتَنِقُ فِيهِ المَعْنَى قَبْلَ أَنْ يُولَدَ كَوُجُودٍ هَشٍّ.

قَدْ يَكْتُبُ بِأُسْلُوبٍ غَرِيبٍ وَغَيْرِ مَأْلُوفٍ، وَيُدْرِكُ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ يَتَعَمَّدُهُ، كَأَنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَتْرُكَ أَثَرَهُ الخَاصَّ, مَا يَهُمُّهُ هُوَ البَلَاغَةُ فِي التَّعْبِيرِ، وَحُسْنُ البَيَانِ الَّذِي يَنْسَابُ بِسَلَاسَةٍ بَيْنَ فِكْرِهِ وَقَلَمِهِ الحِبْرِيِّ، فَلَا يُبَالِي إِنْ كَانَ النَّصُّ مَفْهُومًا لِغَيْرِهِ مَا دَامَ يَعْكِسُ صَوْتَهُ.

لَمْ تُغَيِّرْهُ غُرْبَتُهُ وَلَا كُرْبَتُهُ, ذَلِكَ الطِّفْلُ الَّذِي جَلَسَ يَوْمًا لِيَقْرَأَ عَلَى الجَمْعِ وَهُوَ صَغِيرٌ، كَبُرَ وَقَرَأَ وَأَقْرَأَ، لَكِنَّهُ اليَوْمَ لَمْ يَعُدْ كَمَا كَانَ؛ فَقَدْ كَانَ يَوْمَهَا يَعِيشُ بِلَا أَوَانٍ، بِلَا ضُغُوطٍ وَلَا أَعْبَاءٍ، أَمَّا الآنَ فَقَدْ أَثْقَلَتْهُ التَّجَارِبُ وَرَسَمَتْ مَلَامِحَهَا عَلَى رُوحِهِ.

بَلَغَ بِهِ الهَمُّ مَبْلَغًا كَبِيرًا، فَأَحْرَقَتْهُ التَّجَارِبُ وَصَارَ رَمَادًا يُدَفِّئُ مَنْ حَوْلَهُ.

لَمْ يَكُنْ يَسْعَى وَرَاءَ كُلِّ فُرْصَةٍ، لَكِنَّهُ أَيْضًا لَمْ يُمْنَحْ حَظًّا كَبِيرًا، فَكَأَنَّمَا الحَظُّ أَبَى أَنْ يُعِينَهُ عَلَى مَدِّ عُمُرِهِ الشَّاقِّ بِوَمَضَاتٍ مِنَ الفَرَحِ.

يَرْجُو الخَيْرَ دَائِمًا ,لَكِنَّهُ يَحْمِلُ عِبْئًا لَا يَحْتَمِلُهُ الآخَرُونَ, مَضَتْ سَبْعُ سَنَوَاتٍ مِنْ عُمُرِهِ فِي الشِّمَالِ، وَالآنَ يَطْمَحُ إِلَى زَمَنٍ جَدِيدٍ فِي الأَقْصَى، يَخْدِمُ فِيهِ الأَصْلَ وَيَغْرِسُ الفُرُوعَ فِي زَيْتُونِهِ، عَسَى أَنْ يَجِدَ فِي الغَرْسِ بَرَكَةً تُعِيدُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الأَمَلِ.

لَمْ يَنْسَ العَبَرَاتِ الَّتِي ذَرَفَهَا عَلَى أَرْضٍ حَمَلَتْ ضَرِيحًا وَتَابُوتًا وَسَاحِلًا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكْتَمِلْ إِيمَانُهُ، وَلَمْ يَبْلُغِ المَوْتَ، وَلَمْ يَرَ ذَلِكَ الشَّاطِئَ الَّذِي طَالَمَا انْتَظَرَ أَنْ يُهَدِّئَ أَنْفَاسَهُ المُتَسَارِعَةَ.

مَا قِيمَةُ ثَمَانِ سَنَوَاتٍ بِلَا رَجَاءٍ؟ سَنَوَاتٍ يُكَابِدُ فِيهَا العَنَاءَ وَيُصَارِعُ الدَّهْمَاءَ لِتَحْصِيلِ قُوتِ يَوْمٍ عَسِيرٍ؟ رُبَّمَا لَا تَنْفَعُ الأُمْنِيَاتُ، لَكِنَّ شَغَفَهُ بِمَا هُوَ آتٍ ظَلَّ شُعْلَةً لَا تَنْطَفِئُ، وَكَأَنَّمَا القَدَرُ وَعَدَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يُكْشَفْ بَعْدُ.

قِصَّتُنَا عَلَى اللَّهِ.

رِثَاءُ الضَّحَايَا

{شعر}

قُلْتُ مَرَّةً رَاثِيًا مَا وَقَعَ فِي أَصْقَاعِ الدُّنْيَا مِنْ هُجُومٍ إِرْهَابِيٍّ عَلَى الأَبْرِيَاءِ فِي بَلْدَةِ { نيوزيلندا }:

قَتَلَ البَغِيضُ جَمِيعُهُمْ فِي مَسْجِدِ

أَبْكِي عَلَيْهِمْ أَمْ أَنُوحُ بِمَرْقَدِي

قَتَلَ اللَّعِينُ صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ

كَانُوا قِيَامًا فِي صَلاَةٍ سُجَّدِ

نَالُوا الشَّهَادَةَ بَعْدَ مَوْتِ بَاغِتٍ

شُلَّتْ يَمِينُ القَاتِلِ المُتَمَرِّدِ

هُبُّوا جُمُوعًا أَوْ فُرَادَى مَجْلِسًا

بِالأَمْنِ فِيكُمْ كَاذِبٌ وَمُفَنّد

أُفٍّ لَكُمْ جَمْعَ البَوَاكِيَ كَثْرَةً

دَمُكُمْ دَمٌ وَدَمُ القَتِيلِ مُبَدَّدِ

لَوْ كَانَ مِنْكُمُ سَالِمًا وَمُعَافَى

وَأَشَعْتُمُ الحَيْدَةَ فِيهِ دُونَ تَمَدُّدِ

لَكِنَّ شَهِيدُنَا مِنْ نَسْلِنَا

وَأَصْلُنَا فِيكُمْ جَاحِدٌ وَمَعَنِّدِ

إِرْهَابُكُمْ حَسَنٌ فِي ثَوْبِ جَرِيمَةٍ

وَ غَوِيُّنَا يُرْمَى بِسِجْنٍ دُونَ مُنَدِّدِ

هَلْ عَقِلْتُمْ حَبْسَكُمْ لِأَنَامِنَا

فِي سِجْنِ كُوبَا ذَاكَ الجَحِيمُ السَّرْمَدِ

حِكْمَةٌ صُوفِيَّةٌ في التَمَاهِي

قيل:

يُمْكِنُنِي أَنْ أَكُونَ بِدُونِ أَيِّ شَيْءٍ ,لَكِنْ لَيْسَ بِدُونِكَ.

قُلْتُ:

يَسَعُنِي أَنْ أَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تَرُومُهُ ,لَكِنْ لَنْ أَبْرَحَ حَتَّى أَبْلُغَ مَسْعَايَ فِيكَ .

فَزَعُ الأَلَمِ

قِيلَ:

المَصَائِبُ أَبْوَابُ اخْتِبَارٍ، تُمَيِّزُ بَيْنَ الصَّابِرِ الجَلِيدِ وَالجَازِعِ الوَهِينِ، فَمَنْ تَحَمَّلَ هَوْلَهَا نَالَ فَضْلَهَا، وَمَنْ ضَعُفَ أَمَامَهَا أَضَاعَ أَجْرَهَا.

قُلْتُ:

فِي لَحْظَةِ الوَجَعِ العَاصِفِ، تَتَشَابَهُ الوُجُوهُ، كَمَنْ يَرَى مَلَكَ المَوْتِ قَادِمًا، يَخْطُو بِنَبْرَةِ القَضَاءِ، حَامِلًا حَقِيبَةَ القَدَرِ، يُلْقِي فِي النَّفْسِ فَزَعًا يَكْسِرُ القُوَى، وَيُثِيرُ فِي القَلْبِ صَرِيخًا صَامِتًا، لَا يَسْمَعُهُ إِلَّا مَنْ جَرَّبَ.

أَثَرُ الجِدِّ

قِيلَ:

وَمِنَ التَّرْكِ لِلْكَسَلِ أَعْظَمُ مِنْ جُهْد الاجْتِهَادِ , لِمَنْ لَهُ نَفَسٌ بِطَبِيعَةِ الحَالِ.

قُلْتُ:

وَمِنْ رَجَاحَةِ الجُهْدِ تَصْيِيرُهُ نَصَبًا فِي مَحَآلِّهِ .

أَنَانِيَّةُ الحُبِّ

قِيلَ:

وَلِمَصْلَحَةِ الحُبِّ تنَازَلْ عَلَى كَثِيرٍ , فَقَدْ تَجِدُ مَنْ يُشَارِكُكَ الرِّفْقَة, وَلَنْ تَجِدَ مَنْ يُبَادِلُكَ المَحَبَّة, وَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَأَنْتَ مُخَلَّدٌ بِالمَوْتِ .

قُلْتُ :

لاَ يَضِيرُكَ أَنْ تَحِيدَ وَتَمِيلَ قَلِيلاً ,فَالأَرْضُ مَالَتْ لِدَوَرَانِهَا وَمَا نَقُصَ مِنْ قَدْرِهَا شَيء.

لُؤْمُ الخِلاَّنِ

قِيلَ:

وَلاَ أَلُومُ صَدِيقِي حِينَ يَخْذُلُنِي

أَنَا المَلُومُ عَلَى حُسْنِ الرَّجَا فِيهِ

قُلْتُ :

وَلَا أَعُودُ رَفِيقِي حِينَ يَجْرَحُنِي

فَأَنَا الذَّلِيلُ إِنْ رُمْتُ الهُدَى فِيهِ

أَنَا العَدُوُّ لَهُ فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ

تَغْشَاهُ دَهْرًا وَتُدْعَى للبَقَا فِيهِ

أُمَنّيهِ غَدْرًا حَتَّى يُسْلِمَنِي

نَفْسًا تُعَذَّبُ فِي السَّمَا فِيهِ

غُرْبَةٌ مُوجِعَةٌ

قِيلَ:

أَعِدْنِي لِنَفْسِي

كَمْ تَغَرَّبْتُ حَائِرًا

قُلْتُ :

وَلاَ وَطَنَ لِي , الكُلُّ يَغْزُو .

جُوعٌ كَافِرٌ

قِيلَ:

كُنْ دَائِمًا قُرْبَ الذِينَ يُطعِمُونَ رُوحَكَ لاَ مَنْ يَأْكُلُونَهَا.

قُلْتُ :

فَمَنْ شَبِعَ رَمَى وَذَمّ وَ لَمْ يُبَالِي .

خَسَارَةُ القِتَال

قِيلَ:

تَخُوضُ حَرْبًا لِأَجْلِ أَحَدِهِمْ , فَيَقْتُلُكَ هُوَ.

قُلْتُ :

وَ لَا دِيَّةَ لِلْقَاتِلِ ,بَلْ جُنُوحٌ نَحْوَ الإِنْتِقَام .

عَمَلٌ فِي مَقْهَى

قِيلَ:

قَالُوا القَّهْوَةَ ,أَوْ مَنْ تَهْوَى ؟

قَالَ : القَهْوَة مِمَّنْ أَهْوَى...

قُلْتُ :

كَرِهْتُ النَّادِلَ وَالْمُنَادِمَ ,وَعِفْتُ السَّاقِي وَالْمُلاَزِمَ .

الأَمَانَةُ العِلْمِيَّة

قِيلَ:

مَنْ سَكَتَ عَنْ نُقُولِهِ فَهِيَ مِنْ مَقُولِهِ.

قُلْتُ :

وَمَنْ أَفْصَحَ عَنْ زَادِهِ ,فَهُوَ مِمَّا زَادَهُ وَ سَادَهُ.

أَثَرُ الرُقْيَةِ

قِيلَ:

لَقَدْ زَالَ السِّحْرُ

أَرَاكَ

الآنَ

عَادِيًّا.

قُلْتُ :

وَلاَ أَطْمَعُ فِي تَجْدِيدٍ مِنْ كَاهِنٍ كاذِبٍ آدَمِيٍّ.

إِلْفُ الوَهْمِ

قِيلَ:

اعْتِيَادُكَ عَلَى الزَّيْفِ يَجْعَلُكَ لاَ تَسْتَسِيغُ الأَصْلَ خَاصَّةً إِنْ تَعْرِفْهُ أَوَّلاً.

قُلْتُ :

وَرَوْمُكَ العَتِيق للأَشْيَاء, لاَ يُعْفِي مِنْ هَوْلِ التَّحْدِيقِ فِي التَّحْقِيق المُرَاد.

حُمْقُ العُبُودِيَّةِ

قِيلَ:

وَمِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا

مَنْظَرُ الرُّوحِ

جَالِسَةٌ

فِي السِّجْنِ

وَالمِفْتَاحُ فِي يَدِهَا .

قُلْتُ :

فِقْدَانُ الشَّغَفِ فِي جَدْوَى مَا وَرَاءَ الأَسْوَارِ: إِنَّهَا أَغْوَارٌ .

قَانُونُ المَنْطِقِ

قِيلَ:

أُعْطِيَتْ الرُّوح إِذْنًا خَاصًّا بِهَا لِتُسْمِعَ أُمُورًا لاَ يَفْهَمُهَا العَقلُ .

قُلْتُ :

وَمَنْحُ العَقْلِ صَمْتٌ لاَ يُدْرَى كُنْهُهُ, إِلاَّ بِتَحْدِيقِ النَّظَر .

صَنِيعُ الإِغْرِيقِ القُدَامَى

كُلْ وَاشْرَبْ

مَعَ الأَقْرِبَاء

وَتَاجِرْ مَعَ الغُرَبَاء

*** مثل إغريقيّ***

قُلْتُ :

صُمْ مَعَ الإِنْسِ ,وَاكْتَرِي بُقْعَةً فِي أَرْضِ الجَآنِّ فَهَؤُلاَءِ قَوْمٌ بُهْتٌ.

تَلْمِيحٌ فِي مُزَاحٍ

قِيلَ:

يُمْكِنُكَ سَمَاعُ الحَقِيقَةِ أَثْنَاءَ المُزَاحِ

فَرَكِّزْ جَيِّدًا.

قُلْتُ :

وَفِي غَضَبِكَ أَشْعِلْ فُؤَادَهُمْ ,فَوَقُودُهُمْ كَلاَمٌ.

رَاحَةٌ مِنْ مُهِمَّةٍ

قِيلَ:

تَعِبْتُ مِنْ تَأْدِيَةِ

دَوْرِ الجِدَارِ

أُرِيدُ الإتِّكَاء .

قُلْتُ:

لاَ أَثِقُ فِي الجِدَارِ, فَهُوَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ .

رَجَاءُ القَبُولِ

قِيلَ:

لَيْسَ عَلَيْكَ

إِلاَّ أَنْ تَرْفَعَ يَدَيْكَ

قُلْتُ :

ولن يُرَدَّا خَآئبين عَائِبَيْنِ : إي وربّي,فَجَمْعُهُمَا لِلأَعْلَى رَجَاءٌ فِي الأَعْلَى.

لَقِيطُ الرُّتَب

قِيلَ:

لاَ تَدَعْ ذَلِكَ الوَغْدَ الذِي نَسِيَتْ أُمُّهُ تَنَاوُلَ حُبُوبَ مَنْعِ الحَمْلِ أَنْ يُعَكِّرَ مِزَاجَك.

قُلْتُ:

اذْهَبْ بِهِ إِلَى قَابِلَةٍ تُعِينُ أَبَاهُ عَلَى فَرْزِ حيَوَانَاتِهِ المَنَوِيَّة وَيَالَيْتَهُ عَقِيمٌ .

عَمَى الشُخُوصِ

قِيلَ:

وَأَنَا إِذَا عَزَمْتُ عَلَى أَلاَّ أَرَاكَ فَصَدِّقْنِي أَنَّكَ لَوْ جَلَسْتَ عَلَى رِمْشِي فَلَنْ أَرَاكَ.

قُلْتُ :

وَ إِنْ أَغْمَضْتُ فَأَنْتَ ميّتٌ بِلاَ دَفْنٍ ,فَإِنْ بَكَيْتُ أَغْرَقْتُكَ.

لَوْعَةُ الوِجْدَانِ

قِيلَ:

وَ أَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا

قُبَيْلَ الفَقْدِ مَفْقُودَ المِثَالِ

قُلْتُ :

وَأَكْثَرُ مَا عَمِلْنَا مَا حُرِمْنَا

قُبَيْلَ الفِعْلِ مَنْزُوعَ الخِصَالِ

رَجَوْنَا الحُبَّ مَرَّاتٍ وَأَبْكَى

قُلُوبَ العَاشِقِينَ بِلَا وِصَالِ

وَسِرْنَا فِي الدُّرُوبِ بِغَيْرِ نُورٍ

فَمَا عُدْنَا سِوَى ظِلٍّ زَوَالِ

وَمَا أَفْنَى الشُّعُورَ سِوَى اغْتِرَارٍ

بِحُلْمٍ كَانَ مَرْجُوَّ المَنَالِ

نُصَارِعُ فِي مَدَارِ الجُرْحِ نَفْسًا

تُجَازَى جَزَاءً صَفْعَ النِّعَالِ

نَبِيعُ الحُزْنَ فِي أَسْوَاقِ قَهْرٍ

وَنَشْرِي البُعْدَ مَشْرُوطًا بِـ: غَالِ

وَكُلُّ حَقِيقَةٍ صَارَتْ سَرَابًا

تُفْنِي دَهْرًا أَصْلاَبَ الرِّجَالِ

تَلُوحُ لَنَا الحَقَائِقُ كُلَّ يَوْمٍ

وَنَعْمَى بَعْدَهَا عِنْدَ السُّؤَالِ

وَنَغْرِفُ مِنْ حِيَاضِ الغَيِّ شَرْبًا

نَأْسَى فَنُنْسَى يَوْمَ ارْتِحَالِ

وَمَا نَجْنِي سِوَى أَوْجَاعِ دَهْرٍ

تُكَرِّرُ حَتْفَنَا فِي كُلِّ حَالِ

وَغَابَ النُّورُ مِنْ أَحْلامِ عَيْنٍ

تُعَانِقُ فَوْقَ أَجْنِحَةِ المُحَالِ

وَجِئْنَا نَرْتَجِي حَظًّا جَمِيلًا

فَعُدْنَا مِنْهُ بِعَجْزِ الرِّجَالِ

نُغَادِرُ كُلَّ دَارٍ بِلا رَجَاءٍ

وَنَبْكِي خُفْيَةً رَجَاءَ الظِّلَالِ

كَأَنَّ الدَّهْرَ أَوْقَعَ فِي قُلُوبٍ

غَفَتْ عَنْ قَتْلِهِ سَهْمُ النِّبَالِ

وَنَمْشِي فِي طَرِيقِ الوَهْمِ نَحْوًا

يَهِيمُ مَعَ الخيال فَلاَ يُبَالِي

تَعَلَّقْنَا بِأَشْبَاحِ الرَّجَا فِي كُلِّ وَادٍ

وَخُضْنَا فِي البِحَارِ بِلَا حِبَالِ

حَجْبُ السَّمَاءِ

قِيلَ:

وَقَدْ يَكُونُ المَنْعُ عَيْنُ العَطَاءِ.

قُلْتُ :

أَوَ لَيْسَ المَانِعُ مَانِحٌ ,إِذْ هُوَ يَصْرِفُ كَرَمَهُ عَلَى نِظَامَهُ.

لاَ خِيَارَ

قِيلَ:

إِمَّا أَنْ تَكْتُبَ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ

أَوْ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الكِتَابَةَ.

قُلْتُ :

إِمَّا أَنْ تَقْرَأَ مَا لَا يَكُونُ

أَوْ يَكُونُ مَا تَقْرَأُهُ كِتَابًا مَفْضُوحًا هُوَ أَنْتَ وَأَوْهَامُكَ.

وَهْمُ العَظَمَةِ

قِيلَ:

إِنَّهُ عَقْلِي أَنَا فَلَا تَبْحَثْ فِيهِ عَنْ أَفْكَارِكَ.

قُلْتُ :

وَفِكْرُكَ لَا عَقْلَ لَهُ وَلاَ خِطَامَ, بَلْ هُوَ سُلُوكُ السِّقَامِ .

إذاعةُ الكَلاَمِ

قِيلَ:

يَا صَاحِبَ السِرّ إِنَّ السِرَّ قَدْ ظَهَرَا

وَإِنّي لاَ أُطِيقُ حيَاةً بَعْدَمَا اشْتهَرَا

قُلْتُ :

يَاصَاحِبَ العَيْشِ إِنَّ العَيْشَ قَدْ حرُمَا

وَإِنّي لاَ أُذِيعُ سِرًّا بَعْدَمَا عُلِمَا

يَا مَنْ تَصُونُ أَمَانَاتِ الوَرَى كَذِبًا

أَصْبَحْتَ تُنْشِدُ أَلحَانًا كَمَنْ سَكِرَا

مَا كَانَ قَصْدِي فَضِيحَةٌ بَلَى عَثَرَتْ

قَدَمِي فَسَالَ دَمُ الإِفْشَاءِ إِذْ عَبَرَا

هَلْ كَانَ حُبُّكَ طِفْلًا لاَ يَعِي وَقَرا ؟

أَمْ كَانَ نَجْمًا سَرَى حَتَّى دَنَا قَمَرَا ؟

هَلْ تُرْجِعُ السِرَّ إِنْ خَفَّفْتَ حِمْلَهُمَا ؟

أَمْ أَنْتَ مَاضٍ إِلَى حُبٍّ بِهِ غُمِرَا ؟

أَبْقَى عَلَى حَالَتِي الضَنْكَى الَّتِي غَلَبَتْ

نَفْسِي، فَلاَ قَلْبُ يُنْسَى أَوْ يُطِيقُ كَرَا

لَوْ كَانَ سِرُّكَ مَيْتًا فِي الصُّدُورِ هَوَى

مَا جَاءَ نَبْضُكَ يَسْرِي فِي الظَّلاَمِ قَرَا

يَا مَنْ يُؤَنِّبُنِي فِي السِّرِّ إِنَّ لَهُ

طَعْمَ الجَمَالِ إِذَا مَرَّتْ بِهِ ذُكِرَ

هَلْ يَنْطَوِي السِّرُّ إِنْ غَابَتْ مَعَالِمُهُ ؟

أَمْ يَبْقَى حَتَّى يَصِيرَ الأَمْرُ مُعْتَبَرَا ؟

يَبْقَى كَكَنْزٍ مَهِيبٍ فِي الخَفَا حُفِرَا

وَلَنْ يُطَالَ لِغَيْرِي مَا عَلَى الدُّرَرَا

نِظْرَةٌ إِلَى فَوْق

قِيلَ:

لاَ تَتَرَقَّى إِلَى العَوَالِي إِلاَّ بِالتَّرَفُّعِ عَن السَّفَاسِفِ.

قُلْتُ:

لاَ تُحَدِّقْ بِالغَوَالِي ,فَالنَّوَالُ فِي الكَمَالِ.

الْمُرَادُ الصَّحِيحُ

قِيلَ:

العَاقِبَةُ

لِلتَّقْوَى

لاَ

لِلأَقْوَى .

قُلْتُ:

النَّائِبَةُ لِلْخَلْوَةِ ,لاَ للصَوْلَةِ

رِثَاءُ المُرَبِّي الكَبِيرْ

{شِعْر}

قُلْتُ رَاثِيًا مُعَلِّمِي الأَوَّل الأجلّ سِيدِي عبد المانع السعداوي رحمه الله :

يَا نَفْسُ قُومِي إِنَّ الأَسَى كَدَرٌ

بِمَوْتِ شَيْخٍ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ

شَيْخٌ سَمَا فِي مَسْجِدٍ رُزِقَا

قُلُوبَ قَوْمٍ أَضْحَتْ بَعْدَهُ مِزَقَا

شَبَابَ قَوْمِي مَنْ بِهِ شُغِفُوا

حينًا يُعَلِّمُهُمْ وَحِينًا بِهِ أَلِفُوا

كَمْ سُورَةٍ قُرِئَتْ مِنْ لَفْظِهِ سُمِعَتْ

مِحْرَابُ شَيْخِي كُلٌّ بِهِ جُمِعَتْ

ضَبْطٌ وَإِتْقَانُ حِفْظٌ وَإِمْعَانُ

الصَّوْتُ يَشْدُو وَالمِحْرَابُ آذَانُ

لاَ تُخْبِرُوا أَبَدًا عَنْ لَوْعَتِي أَحَدَا

الكُلُّ يَبْهَتُ وَالأَنْفَاسُ تَضْطَرِبُ

إِلَيْكَ مِنِّي رَجَاءٌ فِي رَحْبِ جَنَّتِهِ

وَإِلَيْكَ مِنِّي سَلاَمٌ حِينَ نَقْتَرِبُ

المُرَادُ الصَّحِيحُ

قِيلَ:

العَاقِبَةُ

لِلتَّقْوَى

لاَ

لِلأَقْوَى .

قُلْتُ:

النَّائِبَةُ لِلْخَلْوَةِ ,لاَ للصَوْلَةِ .

شَجَاعَةُ أَحَدِهِمْ

قِيلَ:

إِذَا كَانَ وَصْلِي لِمَا أَصْبُو سَيُؤذِينِي

فَبَلِّغُوا الأَذَى أَنِّي قَدِمْتُ إِلَيْهِ

قُلْتُ :

إِذَا كَانَ عشقي لِمَا أَرُومُ سَيُرْدِينِي

فَأَوْهِمُوا الأَذَى أَنِّي عفوت عليه

فَمَا غَفَلْتُ عَنْهُ وَلَكِنْ أُصِرُّ

حَتْفِي أُسِرُّ قَذَاهُ إِلَيْهِ

نَهْرُ الغَمِّ

قِيلَ:

ذَهَبَتْ هُمُومٌ حِرْتُ فِي أَسْمَائِهَا

وَأَتَتْ هُمُومٌ مَا لَهُنَّ أَسَامِي

قُلْتُ :

وَبَدَتْ هُمُومٌ خِلْتُ فِي أَطْوَارِهَا

أَنَّ الفُؤَادَ مُصَفَّدٌ بِفِعَالِي

وَغَدَتْ ظُنُونٌ صِرْتُ مِنْ أَسْوَارِهَا

كَجَوْرِ أَسْرَى مَا لَهُمْ بِوِصَالِي

سُخْطُ القَدَرِ

قِيلَ:

أَصْلُ بَلاَءِ الخَلْقِ فِي التَّسَخُّطِ عَلَى الأَقْدَارِ ,مَدُّ أَطْرَافِهِمْ إِلَى الأَحْوَالِ

قُلْتُ :

وَفَزْعُ بَهْجَتِهِمْ بِالدَنِيَّةِ هَذِهِ , إِعْمَالٌ لِقُدْرَةٍ فِي غَيْرِ مُوجِبٍ ,وَسَفَهٌ فِي قَوْلٍ بِلَا مُوَارَبَةٍ, وَتَسْوِيفٌ لِلْعَظِيمِ آنُهُ .

قَطْعُ يَدِ الحُبِّ

قِيلَ:

مُدِّي إِلَيَّ يَدًا تُمْدَدْ إِلَيْكِ يَدُ

لاَ بُدَّ فِي العَيْشِ أَوْ فِي المَوْتِ نَتَّحِدُ

قُلْتُ :

سُدِّي عَلَيَّ رَجًا يُوصَدْ عَلَيْكِ غَدُ

لاَ بُدَّ فِي العِشْقِ أَوْ فِي الحِقْدِ نَتَّقِدُ

سُدِّي عَلَيَّ سَبِيلَ الحُبِّ إِنْ رَغِبَتْ

نَفْسٌ، فَالقَلْبُ يَحْيَا إِنْ بِهِ وَجْدُ

إِنْ شِئْتِ نُورًا يُضِيءُ النَّارَ فَاتَّقِدِي

وَإِنْ أَبَيْتِ، فَإِنَّ الحُلْمَ يُفْتَقَدُ

أَرْسَلْتُ لَحْنًا لِوَصْلٍ كَانَ يُبْهِجُنِي

فَجَاءَنِي صَدُّكِ الْقَاسِي كَمَا الرَّعَدُ

هَلْ كَانَ حُبُّكِ نُورًا صَافِيًا وَضَحًا؟

أَمْ كَانَ مَكْرًا يُوَارِي هَمْسَهُ رَصَدُ؟

لَكِنَّ عَيْنَاكِ كَاللَّيْلِ الَّذِي حَجَبَتْ

نُجُومُهُ، فَاسْتَبَاحَ ضَوْءًا بِهِ بُعْدُ

أَدْبَرْتِ قَلْبِيَ يُمْنَاهُ وَمَا رَعَتْ

سَهْوًا، فَالقَلْبُ يَبْقَى صَامِدًا أَبَدُ

إِنْ شِئْتِ صَفْحًا فَهَذَا قَلْبُهُ وَلَهُ

يَمْنَحْكِ عُذْرًا، وَفِي الإِمْهَالِ مِنْ بُدُّ

لَكِنَّنِي، وَإِنْ أَوْقَدْتِ أَمَانِيَّ بِقُبْلَتِكِ

سَأَحْتَفِي بِالَّذِي يَبْقَى لِيَ الأَبَدُ

سِمَةُ الخُنُوعِ

قِيلَ:

مَنْ تَواضَعَ لِلّهِ رَفَعَهُ

وَمَنْ تَوَاضَعَ للعَبْــدِ

دَ

فــَ

ـعَـــ

ـهُ.

قُلْتُ:

وَمَنْ رَامَ السَّبِيلَ نَفَعَهْ, وَمَنْ هَامَ بِالوَغْدِ صَفَعَهْ.

حِيرَةُ مَعْشُوقٍ

مَاذَا لَوْ عَادَ مُعْتَذِرًا ؟

وَعِشْقُ القَّلْبِ مُنْفَطِرًا ؟

وَرُوحُ الوَجْدِ مُنْعَطِرًا ؟

وَأَهِيمُ بِالسَّفْحِ مُنْتَظِرًا ؟

أَقُولُهَا لاَ مُعْتَبِرًا

أَمْ أَفْتَحُ البَابَ مُحْتَضِرًا ؟

وَأَبُوحُ بِالوَصْلِ مُفْتَخِرًا ؟

وَأَعُودُ كَالطِّفْلِ مُقْتَدِرًا

لِحُبِّهِ، لَوْ كَانَ مُنْدَحِرًا

قُلْتُ: لَعَلَّ القَلْبَ قَدْ غفَرَا

وَلَكِنَّ شَكِّي لَمْ يَكُنْ قَصَرَا

كَيْفَ أَفِيضُ الوُدَّ إِذْ هَجَرَا؟

وَكَيْفَ أَصْفُو لَهُ إِنْ غَدَرَا؟

فَإِنْ أَتَانِي اليَوْمَ مُعْتَذِرَا

بِحُرُوفِ شَوْقٍ قَدْ سَبرَا

سَأَجِيبُهُ، حَتَّى لَوْ قَلْبِيَ انْصَهَرَا

لَا العِشْقُ يُنسَى، لَا الهَوَى عُذِرَا

وَأَبْقَى أُحَاكِي لَيْلَةً سُحِرَا،

تَشْفِي جِرَاحَ العُمرِ إِنْ أَمَرَا.

فَكَيْفَ أَنْسَى فُؤَادِي الذِي انْحَصَرَا؟

فِي سِجْنِ حُبٍّ لَمْ يَزَلْ أَسِرَا

نِظْرَةٌ إِلَى فَوْق

قِيلَ:

لاَ تتَرَقَّى إِلَى العَوَالِي إِلاَّ بِالتَّرَفُّعِ عَن السَّفَاسِفِ.

قُلْتُ:

لاَ تُحَدِّقْ بِالغَوَالِي ,فَالنَّوَالُ فِي الكَمَالِ.

تَمَنِّي المَوْت

قَالَ أَحَدُهُمْ :

أَلَا مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ

فَهَذَا العَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ

أَلَا مَوْتٌ لَذِيذُ الطَّعْمِ يَأْتِي

يُخَلِّصُنِي مِنَ العَيْشِ الكَرِيهِ

إِذَا أَبْصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ

وَدِدْتُ لَوْ أَنَّنِي مِمَّا يَلِيه

أَلَا رَحِمَ المُهَيْمِنُ نَفْسَ حُرٍّ

تَصَدَّقَ بِالوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

قُلْتُ :

أَلَا مَوْتٌ شَرَابٌ فَأَحْتَسِيهِ

فَهَذَا الهَمُّ لَا إِمْهَالَ فِيهِ

أَلَا مَوْتٌ شَدِيدُ السَّهْمِ يَرْمِي

يُؤَرِّقُنِي فِي حَرْبِي السَّفِيه

إِذَا أَبْصَرْتُ حُزْنًا مِنْ قَدِيمٍ

عَجِلْتُهُ لَوْ أَنَّنِي فَرَحًا آتِيهِ

أَلَا عَفَى الرَبُّ الكَرِيمُ قَلْبَ سَاعٍ

تَجَلَّى فِي الصُّمُودِ عَلَى ذَوِيهِ

أَلَا صَبْرٌ يَخُصُّ القَلْبَ نُورًا

يُبدِّدُ عَتْمَةَ الظَّلْمَاءِ فِيهِ

فَإِنَّ الحُزْنَ طُوفَانٌ عَتِيدٌ

يُقَطِّعُنِي وَيَحَارُ مُدَاوِيهِ

وَإِنْ تَسَاءَلْتَ عَن دَرْبٍ صَبُورٍ

يُجَارِيكَ المُخَاتِلُ في تِيهِ

فَإِنَّ العُمْرَ فِي مِيزَانِ حَقٍّ

تَدَاعَى ظَالِمهُ بِحَامِيهِ

وَمَا الأَيَّامُ إِلَّا دَاءُ صِدْقٍ

يُصَارِعُ الدُّنْيَا عَلَى بَنِيهِ

فَإِنْ قَامَتْ عَلَى الأَحْقَادِ نَفْسٌ

أَبَتْ أَنْ تَرْتَجِي عَفْوًا تُنْجِيهِ

وَإِنْ عَاشَ الفَتَى مَكْبُوتَ دَمْعٍ

رَأَى فِي الحُزْنِ بُدًّا يَرْتَضِيهِ

فَقَدْ يَسْطُو عَلَى الفُؤَادِ جُرْحٌ

يُزَاحِمُ نَبْضَهُ وَيُرْهِقْ مَاضِيهِ

أَلَا يَا لَيْتَ صَبْرَ القَلْبِ صَخْرٌ

لِيَصْمُدَ فِي اللَّيَالِي ويُثْنِيهِ

فَإِنَّ الوَقْتَ يُبْقِي حُكْمَ ظُلْمٍ

يُبَدِّدُ كُلَّ مَا نَرْجُوهُ فِيهِ

سِيرَةُ رجُلٍ نَحِسَةٍ

{مَشْرُوع رِوَايَةٍ مُخْتَصَرَةٍ }

لَمْ يَكُنْ يَجُول فِي خَلَدِي الشَّيْءَ السَوِيَّ الذِي أَسْعَفَهُ فِي حيَاتِهِ, لَقَدْ كَانَ مُغْتَرِبًا عَنْ وَطَنِهِ سِنِينًا, اخْتَارَهَا هَرَبًا مِنْ وَضْعٍ طَبِيعِيٍّ, لَكِنَّهَا المُرَاهَقَةُ دَفَعَتْهُ كَالمَوْجِ المُتَلَاطِمِ, يُوشِكُ أَنْ يَغْرَقَ عَلَى الشَّاطِئِ.

اضْطُرَّ إِلَى أَكْلِ قَدِّيدٍ مَعْرُوضٍ عَلَى الشَّمْسِ اسْتُؤْمِنَ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ الأَصْلِيِّين, لَمْ يَسْتَأْذِنْهُمْ حَتَّ, لاَ تَسْأَلَنَّ عَنِ السَّبَبِ لأِنَّهُ مَفْضُوحٌ .

لَمْ يَشْعُرْ بِالجُوعِ بَعْدَهَا ,لَيْسَ لأِنَّهُ مُشْبِعٌ بَلْ لأَنَّهُ كَرِهَ النَّظَرَ إِلَى وُجُوهِ الذِينَ عَطَفُوا عَلَيْهِ بَعْدَهَا ,وَأَكْرَمُوهُ غَايَةَ الإِكْرَامِ المُجَيَّفِ.

رَائِحَةُ القَدِّيدِ الفَائِحَةِ مِنْ شَرِيطِ الثِّيَابِ المُعَلَّق فِي فِنَاءِ مَنْزِلِهِ الفَسِيح ,لَازَالَ أَثَرُهَا عَلَى حَاسَّةِ الشَمِّ عِنْدَهُ, لَمْ تُفَارِقْهُ البَتَّةَ ,لَمْ يُفَكِّرْ سَاعَتَهَا فِي مَآلِهَا عَلَيْهِ , إِلَى أَنْ يُقْبَر وَيُسَجَّى عَلَيْهِ التُّرَاب فِي الوَدَاعِ الأَخِيرِ.

أَكَمْلْتُ السَّطوَ اللَّحْمِيَّ, فَشَرِبْتُ وَأَكَلْتُ حَتَّى التُخْمَةَ, ثُمَّ اسْتَشْعَرْتُ نَظَرَاتٍ فِي الرُّؤُوسِ غَرِيبَةٍ, تُوشِي بِوُقُوعِ زِالْزَالٍ أَخِرٌ مَعَهُ أَيَّامًا بِلاَ طَعَامٍ أَوْ وَثْبٍ .

نَزَلَ لِلطَّابِقِ السُّفْلِيّ ,عَسَاهُ يَجِدُ ضَالَّتَهُ التِي لَمْ يَعْرِفْهَا حَدَّ سَاعَته هَذِهِ, وَ لْيَكُنْ, لَنْ يُبَالِي بِعَجُوزَتَيْنِ تُمْسِكُ إِحْدَاهُنَّ ثَمَنَ الإِيجَار فَتَكْنِزُهُ حَتَّى يَرْفُضَ البَنْكَ اسْتِبْدَالَهُ أَوْ تَغْيِيرَهُ لِلأَبَدِ ,وَالأُخْرَى تَحِنُّ إِلَى زَاوِيَةِ بَيْتٍ كَئِيبٍ ,تُبَدِّدُ فِيهِ عُمُرَهَا عَلَى ثَرْثَرَةٍ خَاوِيَةٍ.

تِلْكَ اللَّيْلَةُ السَّافِلَةُ ,التِي اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ فِيهَا شَيَاطِين الإِنْسِ وَالجِنّ, يُرِيدُونَ حَتْفِي إِلَى مَثْوَايَ الأَوّل , حَتَّى بَلَغَ بِهَا أَنْ دَفَعَتْنِي إِلَى طَلَبِ النَّجْدَةِ, وَمُحَاوَلَةِ تَهْشِيمِ زُجَاجٍ نَافِذَةٍ خَلْفِيَّةٍ, ثُمَّ فَجْأَةً انْدَفَعَ حِمَارَيْنِ إِلَى ضَيْعَتِي, يَرْفُسَانِ فَتَقَدَّمَ أَحَدُهُمَا يَعُضُّ أَنَامِلُهُ مِنَ الغَيْضِ يَطْمَعُ فِي تَفْجِيرِ رَأْسِهِ غَضَبًا وَ جُنُونًا , وَصُوَيْحِبَتُهِ تُدْلِي بِرَأْسِهَا اللَّعِين لِتَشْهَدَ عَلَى حَدِّ الزِّنَا المَزْعُوم .

مَرَّتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ عَبْرَ دَوَاءٍ مُنَوِّمٍ, أَتَى عَلَى ذَاكِرَتِهِ , يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ, ثُمَّ أَفَاقَ عَلَى حَزْمٍ وَجَلْدٍ غَرِيبَيْنِ ,أَقْسَمَ أَنْ يَثْأَرَ مِنْ ظَالِمِيهِ جِنًّا وَ إِنْسًا ,فَأَعَدَّ لَهُمْ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ هُوَّةٍ وَمِنْ بِسَاطِ الهِجَاءِ ,ثُمَّ شَرَعَ يَنْظِمُ لِأَصْحَابِ الفَتَى وَعَشِيرَتِهِ يَلْعَنُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا, وَيُوصِلُ ذَلِكَ بِأَلْفَاظٍ غَيْرِ

مَعْهُودَةٍ عَنْهُ ,لَكِنْ دعَاهَا المَقَامَ فَلَبَّثْ ,فَوَلَّى البَعِيدُ لِأَهْلِهِ يُعِيدُ مَا تُلِيَ.

ثُمَّ هِيَ أَيَّامٌ تَدْفَعُ آلاَمًا فِي الكَبِدِ وَالحَشَا ,حَتَّى قَدِمَ الطَّاعُونُ الشَّهِير, فَحَصَدَ الأَرْوَاحَ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ ,تَرَكَهُمْ هَبَاءً أَوْ لِحِكْمَةً بَالِغَة, أُوصِدَتْ الأَبْوَاب حَتَّى الطَائِرَةُ أَقْلَعَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِبُرْهَةٍ, فَحَمِدَ اللهَ , وَأَطَلَّ مِنْ سَطْحِ بَيْتِهِ يَرْقُبْ,فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا حِمَارًا سَامِّا أَحْمَرَ اللَّوْنِ يَنْهَقُ عَلَيْهِ, وَعَلَى كُلِّ مَارٍّ عَلَيْهِ, فِي حَيَاتِهِ البَائِسَةِ الحَقِيرَة.

لَمْلَمَ أَدْبَاشَهُ القَلِيلَةَ, وَخَرَّ نَازِلاً مِنْ أَدْرَاجِ المَبْنَى "الجَيِّد" , فَلَمَحَ بَائِعَةَ الهَوَى تَسْتَرِقُ النَّظَرَ شَمَاتَةً وَقَهْرًا وَكَيْدًا , لَمْ يُعِرْهَا بَعْضَ بَالٍ , فَنَسَبهَا فِي إِبْرَةٍ وَضَعَهَا أَبُوهَا فِي فَاهِ هَالِكٍ يُوشِكُ أن يُقْبَر قَبْلَ مَرَاسِمِ تَغْسِيلِهِ ,المُهِمُّ أَنَّهُ انْتَقَلَ لِبَيْتِهِ الجَدِيد غَيْرَ مَحْدُودَ العَدَدِ ,فِيهِ مُلاَّكٌ غَيْرِ أَسْوِيَاء لَكِنْ يُعَاشَرُون , جَمَعَ شِلَّةً جديدة, وَفَعَلَ أَفْعَالًا مَعِيبَةً , وسَمَحَ للأَخْطَاءِ أَنْ تَتَكَرَّرَ ,هُوَ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَلَّمُ بِزَعْمِ أَنَّهُ يَتَأَلَّم, نَعَمْ أَخَذْتُ لَهُ وَصْفَةً فَعَّالَةً, جَرَّبْتُهَا قَبْلَ عَوْدَتِي الأُسْطُورِيَّةِ إِلَى أَقْصَى القَارَّةِ السَّمْرَاءِ شَمَالًا ,وَ وَعَدْتُهُ أَنْ يَبْرَأَ مِمَّا فِيهِ .

لَقَدْ مَاتَ عَلَى عَلَمِ بَلَدِهِ المُسَجَّى الذِي أَتَى بِهِ مَعَهُ, كَأَمَارَةِ انْتِمَاءٍ لِجُذُورِهِ الضَارِبَةِ , لم أُصْرَعْ لِهَذَا ,وإِنّمَا لِرَغْبَتِي الجَامِحَةِ الجَانِحَةِ فِي

تَكْحيلِ عَيْنَيَّ المَرِيضَتَيْنِ بِهِ , لأُلْقِيَ عَلَيْه قولًا أخيرًا وسَلامًا بخيلًا ,أَعْرِضُ لهُ فِيهَا حَالَتَهُ ,وَسَبَبَ وَفَاتِهِ المُحْتَمَلَةَ ,لِأَرْفَعَ المَلامَة عَنْ نَفْسِي وَعَنْ أَهْلِي.

تَلَوْتُ الفَاتِحَةَ وَالقُرْآنَ الذِي أَحْمِلُهُ ,وتَمْتَمْتُ بِصَلَوَاتٍ عَلَى الرَّسُولِ الأَكْرَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, عَسَاهَا تَشْفَعُ لَهُ من العَذَابَ المُرْتَقَبَ .

لن تَصِلَ أنَّ هذا منامٌ وكاتبُهُ سَيُفَاجِئُكَ, وأنتَ على عِلْمٍ مُسْبَقٍ بالمآل, بأَنَّ الشَخْصِيَّاتِ وَالبَطَل خَاصَّةً, قَدْ أَفَاقَ مِنْ كَابُوسٍ مُرْعِبٍ مَقِيتٍ.

هذا يَقَعُ فِي الرِوَايَاتِ البَلِيدِة القَدِيمَةِ , كَلاَّ بَلْ إِنَّهَا وَاقِعَةٌ ,لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ .

رُفِعَتِ الحُجُبُ وَأُسْدِلَ السِّتَارُ الأَخِير عَلَى خُرُوجِ الرُّوحِ السَّابِعَةِ مِنْهُ,لَقدْ رَآهَا وَأَوْصَانِي بِالسَّلاَمِ عَلَيْهَا.

رَحِيلٌ مُتَعَمَّدٌ

قُلْتُ:

الآن تَرْحَلُ بَعْدَمَا اسْتَعْمَرْتَنِي وتَقُولُ عُذْرًا إِنهَا الأَقْدَارُ

الآنَ تُقْلِعُ بَعْدَمَا اسْتَأَجَرْتَنِي وَتبُوءُ إِثْمًا إِنهَا الأَفْعَالُ

قُبْحًا لَهَا فِي الهَوْلِ تُوشِكُ مَحْفلًا وَالصَّدُّ يُرْجِي النُّفُوسَ زَوَالُ

الآنَ تهْرُبُ بَعْدَ عَهْدِكَ غَادِرًا وَتَدَّعِي أَنَّ الهَوَى أَطْلَالُ

مَاذَا جَنَتْ نَفْسِي لأُصْبِحَ عَارِيًا وَحُبُّنَا سَكَنَ الضُّلُوعَ ,خَيَالُ

هَلْ كَانَ قَلْبِي لَكَ صَنمًا هَامِدًا حَتَّى جَعَلْتَ فِيهِ الحُبَّ مُحَالُ

لَكِنَّهُ قَدْ كَانَ نَبْضًا صَادِقًا مَا كَانَ يَعْرِفُ غِشَّكَ أَيُّهَا المُحْتَالُ

ارْحَلْ، فَإِنَّ الحُرَّ إنْ يغشاه الأَذَى يَضُمُّ جُرْحًا وَ لاَ تُعْلِيهِ نعالُ

سِــــــــرٌّ لِلَّهِ

قُلْتُ:

سَيُفْنِي العُمْرُ مَا كُنَّا أَذَعْنَاهُ

وَيَعْلَمَ النَّاسُ كَمْ سُرَّ بِنَا اللهُ

مَا الوَيْلُ إِلاَّ عَزِيزٌ كَانَ مِنْ دَمِنَا

وَ مَا السَّبِيلُ إِلاَّ مَا رَسَمْنَاهُ

مَا الوَيْلُ إِلَّا لَحْنٌ جَاءَ مُسْتَرِقًا

سَبِيلَ قَلْبٍ أَصَابَتْهُ جَفْنَاهُ

الحُبُّ نَارُ فِي وَسْطِ الرِّيحِ سَاعَتُهُ

وَالعِشْقُ عَذَابُ دَهْرٍ وَتَلْقَاهُ

الحُبُّ لَوْعَتُنَا وَالصَبُّ نَهْمَتُنَا

وَالعِشْقُ مُنْهَمِرٌ انْظُرْ مُحَيَّاهُ

يُحِبُّ قَلْبِي كُلَّ فَجْوَةٍ سَارَتْ

فِي طَيْفِهِ جَاءَتْ وَمَا عَادَ خُسْرَاهُ

يَا مَنْ أَضَاءَ بِحُبِّ اللهِ مَحْفِلَهُ

وَسَارَتْ بِنُورِهِ ضِيَاءَ خَطْوَاهُ

يَا مَنْ تَمَسَّكَ فِي السِّرِّ العَتِيقِ بِهِ

وَصَانَ فِي قَلْبِهِ سِرًّا وَ نَاجَاهُ

إِنَّ القُلُوبَ إِذَا مَا أَخْلَصَتْ صَدَقَتْ

تَجُودُ نُورًا، وَيَشْهَدُ مَنْ رَآهُ

وَإِنْ تَلَاهَا سُكُونُ اللَّيْلِ، بَارَكَهَا

سِرٌّ يَكُونُ فِي الأَسْحَارِ مَدْعَاهُ

يَا رَبِّ جَمِّلْ خَطَايَانَا بِمَغْفِرَةٍ

وَاجْعَلْ لَنَا فِي سُرُورِ الدَّهرِ مَأْوَاهُ

إِنَّ الحَيَاةَ صُمُودٌ عِزٍّ لاَ يُطِيقُهُمَا

إِلَّا مُحِبٌّ يَرَى فِي الذِّكْرِ مَغْزَاهُ

قَدْ تَسْرِقُ النَّارُ أَقْوَامًا تُكِنُّ لَنَا

بُغْضًا وَنَكْتُمُ حِلْمًا رَجَوْنَاهُ

إِنَّ الفَضِيلَةَ بِرٌّ لاَ يُطِيقُ لَهَا

قَلْبٌ غَشَاهُ حَرَامٌ وَغَذَّاهُ

فَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ سُورًا لاَ يُرادُ بِهِ

مَكْرٌ وَحُسْنُ القَصْدِ سَجَايَاهُ

يَا مَنْ سَجَدْتَ وَبَكَّرْتَ الْوُقُوفَ عَلَى

بَابِ الْمَحَبَّةِ، رَبُّ الْعَرْشِ أَحْيَاهُ

هِجَاءٌ سَامٌّ

هَجَوْتُ مَرَّةً غَاسلا لِلأَمْوَاتِ مِمَّنْ يَصُبُّ الكَافُورَ وَيَخْلِطُهُ بِالسِّدْرِ, وَيَتَحَرَّى ظُلْمَ الأَبْرِيَاءِ مِنَ الغُرَبَاءِ الشُّرَفَاءِ :

أَيَا عِجْلَ الوَرَى قَدْ كُنْتُ مِنْكَ حَبِيبَا

أَتَسُبُّنِي وَأَنَا الشَّهِيرُ غَرِيبَا

أَتَذُمُّنِي وَأَنَا الوَحِيدُ مُصِيبَا

أَوَهَلْ سَهَوْتَ بِأَنَّكَ المَنْعُوتُ عَيْبًا

نَسَبِي وَعِرْضُكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ أَرِيبَا

فَانْظُرْ لِحَالِكَ إِنْ تَمَايَلْتَ كَئِيبَا

وَالْمَحْ لِبُؤْسِكَ لَيْسَ يُسْعِفُهُ دَوًا

لَيْسَ يُطْهِرُهُ سِدْرٌ, عَجِيبَا ؟

مَنْ كَانَ بَيْتُهُ مِنْ مَخِيطٍ أُسْقِطَتْ

كُلُّ الدَّعَاوِي وَالرَّجَا فِيهِ سِفْلًا مُرِيبَا

أَتُذِلُّنِي تَزْعُمُ بِالخَنَا كَذِبًا وَبُهْتًا لاَزِمٌ

فِي عَرْشِكَ الأَوْغَادُ وَالفَقِيرُ نَسِيبَا

أَوَ قَدْ نَسِيتَ مَنْ تُجَالِسْ حِذْوَكَ

بَائِعَةُ الهَوَى الكُلُّ يَعْلَمُهَا وَالشُّهُودُ قَرِيبَا

تَبًّا لِرَبْعِكَ وَلِلدُّفُوفِ جَمِيعِهَا

تَبًّا لِوَضْعِكَ وَلِلْقُبُورِ صَنِيعِهَا

تَبًّا لِبَغْيِكَ وَ لِلِّقَا أَوْجِد مَنْزِلًا

يُؤْوِيكَ فِيهِ اللَّظَى دَهْرًا كَثِيبًا

فَالرَبُّ يُبْغِضُكَ وَالعَبْدُ يُرْعِبُكَ وَالهَمُّ

سَاكِنُكَ, وَالحَشَا فِيكَ تَصْلَى نَصِيبَا

يَوْمِيَّاتُ مُغْتَرِبٍ

لاَ تَشْعُرْ بِغُرْبَةٍ فِي بَلَدٍ مَا، حَتَّى تَسْتَشْعِرَ خِسَّةَ طِبَاعِ أَهْلِهِ، خِسَّةً فِي المَنْطُوقِ وَالمَفْهُومِ مِنْ حُبِّ مَنْفَعَةٍ مُوصِلَةٍ، وَنَزْوَةٍ فِي شُهْرَةٍ كَفَالَةِ عَابِرِ سَبِيلٍ يُسَمُّونَهَا بِهَذَا بِلَا حَيَاءٍ، خِسَّةٌ فِي التَعَصُّبِ لِلآلِ وَمَا آلَ، وَوَضَاعَةٌ فِي نَجْدَةِ المَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ العَشِيرَةِ ذَوِي الأَلْقَابِ المُتَعَارَفَةِ عِنْدَهُمْ.

لَا تَفْرَحَنَّ بِنَيْلِ الرِّضَا فِي طَلَبِ نِكَاحِهِمْ، وَلَا فِي شُهُودِ أَعْرَاسِهِمْ، وَلَا تَزْهُوَنَّ بِرَبْوَةِ تِجَارَةٍ فِي أَسْوَاقِهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ مُوصَدٌ مُوقَدٌ.

لَا يَضِيرُكَ سَمَاعَ دَوِيِّ عِرْضِكَ يُلَاكُ بَيْنَ الأَجْلَاغِ مِنْهُمْ، وَشُهُودِهِمْ مِنْ أَقَارِبِهِمْ (خَالَاتٍ وَعَمَّاتٍ، وَأَصْهَارٍ، وَأَغْمَارٍ)، وَسُكُوتِهِمْ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ زُورًا.

لَا تَؤُمَّ جُمُوعَهُمْ فِي مَسَاجِدِ الضَّوَاحِي، لِأَنَّهَا لِعُبَّادِهَا مِنْ شِيبِهَا، وَرَأَيْتُ شَبَابَهَا أَسْعَفَهُمْ نَسْلُ أَبِيهِمْ، فَمَرُّوا يُسَوُّونَ صُفُوفَ الرُّوَّادِ

وَأَمَرُّوا، وَسُحِلْتُ أَنَا كَالْعَبِيدِ، قِيلَ لِأَنَّ لَوْنَ السِّحْنَةَ لَا يُسْعِفُ المِحْرَابَ، فَيَصِيرُ سَوَادًا -مَعَاذَ اللهِ.-

وَرُوِيَ مِنَ العِجَافِ أَنَّ الأَقْصَى مِنْ تِلْكَ البِلَادِ فِي القَارَّةِ البَيْضَاءِ أَوِ السَّمْرَاء لَا يُصَلِّي بِأَحَدٍ مِنَ العِبَادِ العُبَّاد ذَوِي الأَوْتَادِ، لِأَنَّ فِيهَا كَهَنَةً وَسَحَرَةً، وَالحُكْمُ عِنْدَهُمْ يَعُمُّ بِلَا مِيعَادٍ.

وَأَضْحَكَنِي مِنْ هَذَا أَنَّ الصَّدَّ مَرْصُودٌ بِحُدُودٍ، وَأَنَّ الأَبْعَدَ لَهُ مُيُولٌ كَالسُّيُولِ، تَجْرِفُ مَا حَوْلَهَا.

وَقَدْ مَضَتْ حِقْبَةٌ، شَهِدْتُ مِنْ نَسْلِهِمْ أَعْوَانًا لِلدَّجَّالِ، يُشِيعُونَ الدِّينَ خَرَابًا فِي رُبُوعِ هَذَا الوَطَنِ الحَبِيبِ البَلِيدِ.

لَمْ يَعْلَمْ أَوْلَادُ الأَحِبَّةِ أَنِّي أَحْمِلُ فِي مَكْتَبِي بِأَرْضِ رُوسْبِينَا هَذِهِ، حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ جَزِيرَتِهَا، أَجْعَلُهُ كَالمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، وَبَعْدَ الصِّيَامِ أُفْطِرُ دَاعِيًا:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ قُلُوبَهُمْ، فَأَجْهِزْ قُبُورَهُمْ، وَلَاقِنَا لِأَرَى حُبُورَهُمْ.

المَسْعَى الأَخِيرُ

قِيلَ: إِرْضَاءُ النَّاسِ

لَا مَأْثُورٌ

وَلَا مَقْدُورٌ

وَلَا مَأْمُورٌ

قُلْتُ :

وغَمْطُ النَّاسِ وشَيْنُهُمْ مألوفٌ معروفٌ مَحْفُوفٌ.

الرَّحِمُ الصَّامِدَةُ

عَبَثْتُ مَرَّةً فَتَوَهَّمْتُ فَهْمَ عَقْلِ امْرَأَةٍ، فَكَتَبْتُ عَنْهَا وَلَهَا هَذَا، ثُمَّ طَفِقْتُ أَلْبِسُ جِلْبَابَ الرُّجُولَةِ، فَهُوَ عَلَى مَقَاسِي الأَصْلِيِّ:

سُرْعَانَ مَا بَزَغَتْ عَلَامَاتُ البُلُوغِ الشِّرِّيرَةُ، طَفَحَتْ غَيْرَ آبِهَةٍ لِهَوْلِ وَقْعِهَا عَلَيَّ، قِيلَ لِي إِنَّ النُّضْجَ سَيْلٌ عَرِمٌ مِنَ الفَيْضِ الأَحْمَرِ القَانِي، وَيَلْزَمُهُ مُكَابَدَةُ أَقْمِشَةٍ قُطْنِيَّةٍ تَقِيهِ مِنْ تَسَرُّبٍ مُفْضِحٍ بَيْنَ المَلَأِ، تَرَقُّبٌ دَوْرِيٌّ، شَهْرِيٌّ، سَنَوِيٌّ، دَهْرِيٌّ مُنْضَبِطٌ، فِيهِ الثَّلَاثُ وَالسِّتَّةُ بِضِعْفَيْهَا وَقَدْ يَزِيدُ تَدَلُّلًا، رُغْمَ ذَلِكَ لَنْ تَكْتُمَ الفَرْحَةَ بِهِ رُغْمَ قَسْوَتِهِ المَعْهُودَةِ، فَهِيَ لَيْسَتْ كَجَلَافَةِ بَعْلٍ أَوْ صَلَافَةِ كَبِدٍ، هِيَ حَتْمًا إِشَارَةٌ رَبَّانِيَّةٌ عَلَى تَفْرِيقِ الجُمُوعِ بَيْنَ الأَنَامِ: فَهَذِهِ أُنْثَى ثَأْؤُهَا تَسِيلُ عُذُوبَةً لاسْتِسَاغَةِ مَرَارَةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا رَجُلٌ رَاؤُهُ رَادِعَةٌ لِكُلِّ مَطَبٍّ مِنَ الأَعَادِي، وَقَدْ يَغْدُو هُوَ الوَغْدُ المُتَصَابِي.

تَمُرُّ السُّنُونُ، فَتَمْضِي مَعَهَا شَرَايِينُ فِي أَوْعِيَةٍ فِي جَسَدٍ يُكَابِدُ التَّجَاعِيدَ فِي الرَّحِمِ وَالوَجْهِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَالحَيْرَةُ بَادِيَةٌ أَيُّهُمَا أَوْلَى تَطْبِيبًا وَتَقْلِيبًا، هَلْ ذَلِكَ الأَوَّلُ البَطَلُ؟ حَيْثُ فِيهِ البَذْرَةُ وَمِنْهُ الثَّمَرَةُ، وَقِطَافُهَا مِنْهُ شَدِيدٌ كَالْحَدِيدِ، لَنْ يَعِيهَا قَارِئٌ مُتَطَفِّلٌ أَوْ

عَجُوزٌ مَخْبُولٌ، لَا يُحْسِنُ نَثْرَ جُمُوعِ دَوَابِّهِ المَائِيَّةِ بانتِظَامٍ واقْتِدَارٍ.
لَكِنْ أَلَيْسَ مِنَ الضَّيْمِ وَالحَيْفِ أَنْ يَكُونَ الرَّحِمُ وِعَاءً بِلَا رُوحٍ تَدِبُّ فِيهِ، فَتُثِيرُ وَظَائِفُهُ وَفْرَةً، وَتَكْثُرُ خِصَالُهُ طَفْرَةً، وَيُمْدَحُ فِي يَوْمِ مِيلَادِ صَاحِبَتِهِ وَلَوْ مَرَّةً؟

هَيْهَاتَ: فَالوِعَاءُ الأَصَمُّ، وَإِنْ كَانَ يَحْمِلُ أَزْرَارًا، تَنْتَفِخُ فِيهِ فَتُحْدِثُ بِهِ زَرْعًا، يُبْتَهَجُ بِهِ الأَقْرَبُونَ، وَهَذَا الشَّرْخُ المُتَعَاقِبُ حَسَبَ مَزَاجِ البَعْلِ، وَحُمْقُ الرَّحِمِ لَا يَفْتَأُ يُلْقِي بِظِلَالِهِ عَلَى حَرَكَةٍ أَوْ جِلْسَةٍ أَوْ وَثْبَةٍ أَوْ شَجَاعَةٍ فِي رَفْعِ عِبْءٍ حَقِيرٍ، وَالنَّتَاجُ مِنْهُ لَا يُؤْبَهُونَ إِلَّا إِنْ يَكُنَّ مِنْ ذَوَاتِهِ، وَقَدْ تَعَذَّرَ لِحِكْمَةٍ غَيْرِ مُعَلَّلَةٍ.

اِسْتِفَاقَةُ صَبَاحٍ فِيهَا تَرَقُّبٌ لِحَرَكَةٍ وَارِدَةٍ لَا تُخْطِئُ مَكَانَهَا بَيْنَ صُعُودٍ وَنُزُولٍ، هَلْ هُوَ تَمَرُّدٌ عَلَى نَوَامِيسِ وَظِيفَتِي البِيُولُوجِيَّةِ؟ أَمْ هُوَ المِيعَادُ الأَرِيبُ بِالنَّفَاذِ القَرِيبِ لِمَخْزُونٍ مِنَ الأَحْمَرِ الدَّاكِنِ؟

هَلْ صُمُودُ القَلْبِ عَنْ صَدْمَةٍ، وَالرَّحِمِ عَنْ كَدْمَةٍ، تُجَازَى صَاحِبَتُهُ عَلَيْهِ؟ أَمْ هِيَ مَحْضُ قَارِبٍ مِنَ "الأَذَى الأَصْفَرِ"، كَمَا وَلَغَ أَحَدُهُمْ فِي وَصْفِهَا فِي أَحَدِ المَعَارِكِ الخَاوِيَةِ؟

الآنَ، وَقَدْ شَرُفَتْ وَشَارَفَتْ عَلَى الصُّعُودِ بِوَأْدِ عَيْنٍ فِي كَبِدٍ عَلَى رَحِمٍ صَامِدَةٍ، وَرُبَّمَا خَامِدَةٍ، تُرَاوِدُ الفِكْرَةَ فَتُخَامِرُ النَّظْرَةَ، وَيَلِدُ قَرَارٌ عَقِيمٌ يُوحِي بِاسْتِئْصَالٍ؟ حَاشَاهُ، لِأَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، وَمَا عُلِمَ فِي دُنْيَا النَّاسِ أَنَّ رَحِمًا صَفَعَتْ مَوْلَاتَهَا إِلَّا بِإِذْنِهَا، فَهِيَ الَّتِي اخْتَارَتْ أَنْ تُوَقِّعَ عَلَى وَرَقَةٍ حَقِيرَةٍ ظَلَّتْ حَبِيسَةً فِي دُرْجٍ أَوْ خَزِينَةٍ. لَكِنَّهَا تَظَلُّ جَدِيرَةً هَهُنَا، خَاصَّةً عِنْدَمَا تَكْتَحِلُ عَيْنُهَا بِزَوْجَيْنِ مِنْ ثَمَرَتَيْنِ يَانِعَتَيْنِ.

كَيْفَ الجَمْعُ بَيْنَ مُعَافَاةِ القَذَى وَسَطْوَةِ المَدَى فِي بَقَاءِ نَبْضِ الرَّحِمِ؟ هَلْ بِتِلَاوَةٍ مِنْ آيِ الكِتَابِ المُبَارَكِ؟ أَمْ بِتَقْلِيبِ الأَنَامِلِ فِي مِسْبَحَةٍ عَجِيبٍ لَوْنُهَا وَمَلْحَظُهَا، وَسِرُّهَا أَرِيبٌ؟ أَمْ بِسَبِيلٍ لِصَوْلَةٍ وَجَوْلَةٍ عِنْدَ حُذَّاقِ الأَرْحَامِ مِمَّنْ يَحْضُرُونَ الوَضْعَ وَيَشْهَدُونَ الرَّفْعَ؟

عَبَثٌ هُوَ، وَإِنْ لَمْ يُعِرْ رَأْسًا لِعُمْرٍ تَجَاوَزَ الكُهُولَةَ بِعَشْرٍ أَوْ تَزِيدُ، لَكِنْ سُنَنَ اللهِ فِي كَوْنِهِ جَارِيَةٌ، وَعَلَى ذَوَاتِ الأَرْحَامِ قَاضِيَةٌ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ.

شُكْرًا رَحِمِي.

وُعُودٌ حَقِيرَةٌ

قِيلَ:

عَادَ لِيُخْبِرَهَا أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ ,وَأَنَّهَا لَا تنسَى

لَكِنّهُ لمْ يَجِدْهَا.

قُلْتُ :

لَقَدْ ولَّتْ ,لم تعُدْ وَلَمْ تمُتْ .

نَدَمٌ وَحَسْرَةٌ وَلَوْعَةٌ

قُلْتُ:

لَوْعِي عَلَى نَفْسِي وَقَلْبِي شَرِيدُ   أَسْعَى إِلَيْهِ وَالغَوِيُّ طَرِيدُ

أَحْنُو علَيْهِ مِنْ صُنُوفٍ مُمَتَّعَةٍ   أُهْدِي لَهُ مِنْ خِصَالٍ وَمَنْفَعَةٍ

أُجْزِي لَهُ وَالبَغِيضُ سَعِيدُ   حُمْقًا يَظُنُّ أَنَّ غَبَائِي يُفِيدُ

أَدْعُو عَلَيْهِ وَالدُّمُوعُ كَأَنَّهَا   حَضَرَتْ لَدَيَّ مِنْ غَمْرِهَا تُفِيدُ

ظُلْمِي حَرَامٌ عِنْدَ كُلِّ دِيَانَةٍ   هَوْلاً أُنَاجِي فِي لَيَالٍ سُودُ

حَسْبِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُنَعَّمًا   فِي حَقِّهِ تُطْفَأُ الأَفْرَاحُ لَا تَزِيدُ

قَدْ تَلْعَنُ يَوْمًا حَظَّكَ دَرْسًا أَنْ تُجَاهِرَ وُدًّا عَمَّا لَا يُرِيدُ

مَا لِي سِوَى نَفْسِي أُصَارِعُ هَمَّهَا وَالصَّبْرُ دِرْعِي فِي الوَغَى مَعْدُودُ

يَارَبِّ خُذْ حَقِّي وَصُنْ لِي عِتْرَتِي فَالعَدْلُ يَكْفَلُهُ رَبٌّ وَدُودُ

سُقُوطُ بَشَّار وَفَتْحُ دِمَشْق

قُلْتُ شِعْرًا مُبْتَهِجًا بِدَحْرِ طَاغِيَةِ سُورِيَا بَشَّارُ الأَسَدِ فِي الثَامِنِ مِنْ دِيسَمْبَر عَامَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الأَلْفِيَّةِ الثَانِيَة :

قَدْ أَسْقَطُوكَ يَا مُنْذِرَ الهَــــمِّ

قَدْ أَقْرَبُوكَ مِنْ لَظَى سُقْمِ

تَبْكِي لأَجْلِكَ دُمُوعُ أَهْلٍ

فَرَحًا بِحَتْفِكَ عِنْدَ خَصْمِي

يُصْلَى جُنُودُكَ لَهِيبَ نَارٍ

طَوْعًا لِأَمْرِكَ قَتْلَ قَوْمِ

يَنْسَاكَ بَعْثُكَ عِنْدَ الوَغَى

يَشْكُوكَ حَبْسٌ مُسَيَّجٌ بِبَقَايَا عَظْمِ

تَدْعُوكَ أَمٌّ كَلَمْتَهَا, تَشْكُوكَ شَامٌ

أَسْلَمْتَهَا, لِعُلُوجِ فُرْسٍ وَحَمِيرَ عُجْمِ

قَدْ قَايَضُوكَ ابنُ عَمّكَ دَهْرًا

وَسَالَمُوكَ زَعْمًا بِعَرْشِ وَهْمِ

تُجْزَى بِغِيلَةٍ عِنْدَ رُوسٍ

يُرْجَى بُعَيْدَهَا أُفُولُ نَجْمِ

أَرَى بِعَيْنِي وَ مَا عَقِلْتُ

حَتَّى هَالَنِي سُقُوطُ صَنَمِ

فِيهُ الوُجُوهُ تُغِيظُ قَوْمًا

جعَلُوكَ رَبًّا يُرْجَى بِعُدْمِ

دِمَشْقُ فِيهَا خَيْر عُرْبٍ

دَخَلُوا عَلَيْكَ فِي قَصْرِ وَصْمِ

أَيْنَ الماهِرُ وَالجُنْدُ وَالعَلَوِيّ لعْنًا

فِي رُبُوعٍ أَبْدَلُوهَا ضَيْعَةَ بُهْمِ

تَبًّا لِرَبْعِكَ وَحَافِظٌ أَبِي الأَسَدْ

يُلْعَنْ أَبُوكَ فِي كُلِّ يَوْمِ

المقَامَةُ المجَّادِيَّةُ

حَدَّثْتُ نَفْسِي بِلاَ وَاسِطَةٌ أَوْ رِوَايَةٌ , لِأَنِّي أَعْشِقُ القَوْلَ مَعَ الغِوَايَةَ: أَنَّ شَابًّا يَافِعًا أَرَاهُ صَافِعًا ,يَرُومُ الخَيْرَ وَ السَّلْوَى وَ لاَ يَلْقَى إِلاَّ كَوَادِرَ البَلْوَى ,حُكِي لِي أَنَّهُ سَارَ فِي دَرْبٍ مَوْصُولٍ فِيهِ نَوَاهِد القُبُورْ وَتَدُورُ بِهِ سَوَاعِدُ الحُبُورْ ,سَافَرَ ذَاتَ مَرَّةٍ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ بِلاَدًا خَضْرَاءْ وَأَلْوَانُهَا فَيْحَاء, فِيهَا الشَّعْبُ الكَرِيمْ يُحِبُّ كُلَّ غَرِيمْ وَيَسْحَقُّ كُلَّ سَلِيمْ, عَاشَ فِيهَا دَهْرَهُ كُلَّهُ حَزِينًا يُصَادِفُ الحَقِيرُ وَالمسْكِينَا وَيُجَالِسُ أَصْحَابَ المصَالِحِ والتَّخْمِينَا ,صَعِدَ مَرَّةً مِنْبَرْ فَرَأَى الوُجُوهُ تَصْفَرّْ وَالأَلْسِنَةَ تَجْتَرْ عِنْدَ الأَمِيرْ تَحْتَضِرْ, لِأَكُونَ مِنَ أُولِى المكْنَةِ وَالتَسْيِيرْ وَأَضْمَنُ عَيْشًا فِي هَذَا البَلِدِ الحَقِيرْ فِي بَيْتٍ مُنِيرْ, فِيهِ الجِيرَانُ ذَوِي البَصَائِرْ وَفِيهِ السَّعَادَةُ وَالبَشَائِرْ يُنْجِدُ المَسْعُورْ وَكُلَّ سَافِرْ ؟

قُلْتُ: يَا أَيَّتُهَا الجُمُوعُ النَاقِرَهْ لَكُمْ مِنِّي وَعْدٌ بِالسَّاهِرَهْ فِي أَمْنِ أَحْلَامِكُم النَّاطِرَهْ, لِمَ لَا تُحِبُّونَ اللَّوْنَ الأَسْمَرْ وَالخَدَّ الأَحْمَرْ والزِّنْدَ الأَصْفَرْ, لِمَ تَمْقُتُونَ الأَلْوَانْ أَلَا تَعْقِلُونَ كَأَحْقَرِ حَيَوَانْ أَلَا تُطِيقُونَ الآذَانْ

وَأَصْوَاتُ النَّصْرِ عَلَى الطُغْيَانْ , هَاكُمْ المِذْيَاعْ فِيهِ الخَبَرُ شَاعْ أَنِّي عُيِّنْتُ بَدَلاً عَنْكُمْ فِي مَنْصَبٍ مُطَاعٍ, لِي خَدَمٌ وَحَشَمْ وَكِلَابٌ وَصَنَمْ وَسُيُوفٌ وَرِمَمْ, لِي قُصُورٌ فِي بِلاَدِي وَلِي خِيَامٌ مِنْ أَجْدَادِي وَلِي تَارِيخٌ مِنْ أَحْفَادِي, زَيْتُونَتِي صَامِدَهْ وَقُطُوفُهَا خَامِدَهْ وَوُرَيْقَاتِهَا هَامِدَهْ ,أَفَلاَكِي كُلُّهَا سَوَاءْ فِي كَدِّهَا العَنَاءْ وَ طَامِعُهَا مِنْ أُولِي الشَّقَاءْ , تَرَكْتُ كُلَّ ذَاكْ وَمَا عَسَاكْ إِلاَّ أَنْ أَرَى أَرْوَاحُكُمْ تُسَاقُ لِلْهَلَاكْ , نَادَيْتُ فِيكُمْ العُرُوبَهْ وَقَدَّمْتُ لَكُمْ ضَمَانًا لِلْعُذُوبَهْ, فَعَزَمْتُمْ خِنَاقِي وَسَبَّبْتُمْ طَلاَقِي وَوَشَيْتُمْ بِرِفَاقِي, لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدْ وَفِيكُمْ ظَالِمٌ وَمُعِيدْ وَجَائِرٌ وَمُبِيدْ.

لَقَدْ كَرِهْتُمْ غَيرَكُمْ ظَنًّا وَمَدَحْتُمْ عِرْقَكُمْ مَنًّا, سَلَبْتُمْ حَقِّي وَ وَكَزْتُمْ صِدْقِي وَسَعَّرْتُمْ حَنَقِي.

عَلَيْكُمُ اللَّعْنَةَ الغَابِرَهْ وَالحُمَّى القَابِرَهْ وَالسَّعْرَةَ الدَّابِرَهْ , جَزَاءًا وِفَاقًا وَعَدْلًا طِبَاقًا وَحُكْمًا سَبَّاقا.

غَزَّةُ الأَبِيَّة

يَا غزّةُ المجدِ يا طُهْرَ الجِرَاحَاتِ

يَا صُمُودَ الحَقِّ فِي وَجْهِ المُلِمَّاتِ

عِزُّكِ اليَوْمَ أَسْرَى فِي سَمَا نَصْرٍ

وَجَدْلُكِ الدَّامِي أَبْهَى مِنْ دُوَيْلَاتِ

يَا خَيْرَ جُنْدٍ فِي الأَعْدَاءِ نَاحِرُهُمْ

الغَيْظُ فِيهِمْ بَعْدَ حَصْدِ البُطُولاَتِ

تُقاومينَ بِأَسْيَافٍ مُرْتَقَةٍ لَا

تَهْوِي لِمَالٍ أَوْ تَخْشَى دَبَّابَاتِ

مِنْ كُلِّ أَصْقَاعِكِ الأَحْرَارُ فِي دَمِهِمْ

نَقَشُوا المَلاَحِمَ عَلَى صَخْرِ الرَدْمَاتِ

يُحيونَ شَرَفًا أَضَاءَ الكونَ في أملٍ

وَمَسَحُوا مِنْ عَارِنَا بَعْضَ خَيْبَاتِ

يَا غَزَّةَ نَشْهَدُ أَنَّ الطُهَرَ فيكِ هُنَا

فِي غزَّةَ القَهْرُ لَا تُخْشَى المنيّاتِ

قَدْ مَاتَ شِبْلُكِ فِي أَرِيكٍ مَعْ عَصًا

يَخَافُ سِنْوَارًا جَيْشٌ مِنَ الوُرَيْقَاتِ

مِنْ كُلِّ أَنْفَاقٍ هُنَا مِغْوَارُ يُشْهِرُهُ

يُرْدِي عَدُوًّا سِفْلاً بَيْنَ البَرِيَّاتِ

مَهَمَا تَرَامَتْ أَشْلاَؤُكِ مُبْكِيَةٌ

سَتَبْقَيْنَ غزَّةُ رَمْزَ النُّبْلِ وَالكَرَامَاتِ

صُمُودُكِ اليَوْمَ يَعْزِفُ فِي مَسَامِعِنَا

أَحْلَى الأَهَازِيجِ مِنْ حَرْبِ الحِكَايَاتِ

سَنَحْكِي جِيلَنَا أَنْوَارَ مَلْحَمَةٍ

لِشَعْبَ غَزَّةَ الذِي صَارَ وَيْلاَتِ

سَنَرْمِي دَمْعَنَا بَعْدَ مُرْتَقَبٍ

لِدَحْرِ يَهُودٍ قَاتِلِ النُبُوَّاتِ

لَنْ نَنْسَى وَنَأْسَى عِنْدَمَا نَذْكُرْ

كَيْفَ انْمَحَى مِنْ سِجِلٍّ نَسْلُ أُبُوَّاتِ

أَنَرْقُدُ فِي مَعَايِشِنَا وَنَرْجُو بَعْدَهَا

كَذِبًا رَجْمَ العُلُوجِ وَبَغْيَ البَيَانَاتِ

سَتُشْرِقِينَ غَزَّةَ كَفَجْرٍ بَعْدَ مَظْلَمَةٍ

وَتُحْيِينَ مَجْدًا رُغْمَ جُرحِ وَآهَاتِ

غَزَّةَ الصَّبْرِ يَا نَبْضَ العُرُوبَةِ لاَ

لَنْ تَنْحَنِي أَبَدًا فِي وَجْهِ عَاصِفَاتِ

خَوَاتِيمٌ مُؤَجَّلَةٍ مُعَجَّلَةٍ

أَزِفَ سَيْلُ العِبَارَاتِ فِي بُطُونِ مَعَانِيهَا، وَأَحْسَبُ أَنَّهَا اسْتَوَتْ عَرْضًا وَغَرَضًا لِلنَّاظِرِ مِنْ نَثْرٍ وَشِعْرٍ فِي مَبَانِيهَا، فِي تَهْذِيبٍ وَتَرْتِيبٍ وَتَبْوِيبٍ وَتَصْوِيبٍ، مَعَ سُوءِ الحَالِ وَشُغْلِ البَالِ وَضَرَرِ العَيْنَيْنِ وَوَجَعِ اليَدَيْنِ، غَمٍّ وَسَقَمٍ وَدَمْعٍ مُنْهَمِلٍ, وَإِلَى اللهِ أَشْكُو مَا أُقَاسِي وَأُلَاقِي.

أَشْكُرُ القَارِئَ الحَصِيفَ عَلَى تِطْوَافِ بَصَرِهِ فِي جَنَبَاتِ هَذَا الكَشْكُولِ البِكْرِ، وَأَعِدُهُ غَيْرَ مُتَحَيِّزٍ أَوْ مُتَوَدِّدٍ بِبَذْلِ الوُسْعِ فِي مِيعَادٍ قَرِيبٍ، بِتَوَالِيفَ أَخَالُهَا عَجِيبَةً مَوْضُوعًا وَمَضْمُونًا، وَأَلُوذُ بِاللهِ مِنَ العُجْبِ وَالكِبْرِ.

وَإِلَى مُؤَلَّفٍ آخَرَ نَحْتَفِي.

الفهرس